فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم
برنامج " مجالس القرآن سورة الأعراف "
الدرس الرابع الآيات ١٩- ٢٤
(باللهجة المصرية)
لفضيلة الشيخ: أحمد عبد المنعم
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-127730.htm

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته، بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله -صلَّى الله عليه وسلم-.

نستكمل بإذن الله -عز وجل- ما بدأناه من وقفات مع سورة الأعراف، كنا انتهينا من المرة الماضية الآية ١٨، نبدأ بإذن الله -عز وجل- الآية التاسعة عشر عند قوله -سبحانه وتعالى-: "وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ" الأعراف: ١٩، تكلمنا في المرات الماضية عن مقدمة عن سورة الأعراف، وعن كيف بيسير بنا السياق القرآني من تحذير الأقوام من تكذيب الرسل، وكيف ينتقل السياق مباشرة إلى الدار الآخرة، والتذكير بالإهلاك الدنيوي قبل الانتقال للدار الآخرة، ثم الانتقال إلى مشهد في السماء لتكريم آدم -عليه السلام-، ثم معصية إبليس وسؤال الله -عز وجل- لإبليس -عليه لعنة الله-، ثم كيف أجاب إبليس.

وانتهينا عند آخر مشهد، مشهد الطرد، طرد اللعين، قال ربنا -سبحانه وتعالى-: "اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ" الأعراف: ١٨، وكان هنا فيه إشارة إن فيه ناس سوف تتبع إبليس، سوف تترك آيات الله -سبحانه وتعالى- وتتبع إبليس، وهؤلاء الناس كُثُر، كثرة المتبعين لإبليس أيضًا من الأمور التي تم الإشارة إليها في هذه السورة كثيرًا، سواء عن طريق قوله -سبحانه وتعالى-: "قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ" الأعراف:٣، "قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ" الأعراف: ١٠، أو بالإشارة لقوله -سبحانه وتعالى-: "لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ" الأعراف: ١٨، امتلاء جهنم -نعوذ بالله عز وجل من جهنم- يوحي أيضًا بكثرة الذين سيسيرون خلف إبليس -عليه لعنة الله-.

تكريم آدم -عليه السلام- وغيظ الشيطان منه

ثم الآية اللي هنبدأ فيها النهاردة -بإذن الله -عز وجل- يقول ربنا -سبحانه وتعالى-: "وَيَا آدَمُ" الأعراف: ١٩، تخيل كده -ولله المثل الأعلى- عايزك تتخيل مشهد معايا، لما إنت تقول لواحد، اتنين قاعدين أدامك، وتقول لواحد اطلع بره، ثم في نفس المُقام، وفي نفس المشهد، تلتفت للآخر وتقوله: تعالى يا محمد إنت خليك جنبي إنت هنا، فإكرام آدم في هذه اللحظة كان أيضًا زيادة غيظ للشيطان، من الأشياء التي تسببت له في غيظ وحقد للشيطان، من الأسباب التي زادت في حقد الشيطان لأبينا آدم -عليه السلام-، وأيضًا هذا من كمال تكريم آدم لأن مشهد الطرد يليه مباشرة مشهد الإكرام "اخْرُجْ مِنْهَا"، ثم الآية التي تليها "وَيَا آدَمُ اسْكُنْ"، الله -عز وجل- يقول له: "اسْكُنْ"، نداء والقرب.

تخيل لما ربنا –سبحانه وتعالى–قال له: "وَيَا آدَمُ اسْكُنْ" هذا النداء الذي يوحي بالقرب يقول له: "وَيَا آدَمُ اسْكُنْ"، تخيل لما واحد يقول لك استريح، "اسْكُنْ أَنتَ"، وحتى لا تمل من السكن "أَنتَ وَزَوْجُكَ"، "وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ"، هما قالوا، هما بيقولوا يعني، أن الجنة لا تكتمل بدون الزوجة.

نتعلم في الدعوة أن نتكلم أولًا عن كثرة المباحات

قال "اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ"، وأيضًا تخيل إنت قاعد في مكان وزوجتك، وقمة السكن، عايز حاجة تاكلها بقى، "اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا"، "فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا"، يعني دايمًا الإنسان مفطور على حب الحرية، وإن هو يكون عنده اختيارات كتير، دايمًا الإنسان لما يُطلَب منه، أو يُنهى عن شيء، هذا الشيء بيظل يحيك في صدره حتى لو هو مش عايز الشيء ده، اللي هي القاعدة اللي بيسموها "الممنوع مرغوب"، فهنا ربنا –سبحانه وتعالى– قبل أن يقول الله له: "وَلاَ تَقْرَبَا" قال له: "فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا".

فأيضًا في الدعوة الكلام عن كثرة المُباحات قبل الكلام عن المُحرمات، لأن المُحرمات معدودات، الأصل في الأشياء الإباحة والحِل في ما أنزله الله –عز وجل– للناس، الأصل فيه الإباحة، فدايمًا احنا نتكلم عن كثرة نعم الله –عز وجل– على العباد، وكثرة المُباحات التي أعطاها الله –عز وجل– للناس، ثم فيه أشياء معينة، وأصناف معينة هي اللي مُحرمة، فأيضًا كما هنا في خطاب الله –عز وجل– لآدم –عليه السلام– قال له: كل الجنة مُباحة "فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا"، حتى يُكسر ما بداخله من قضية الممنوع مرغوب وإنه هو عايز يشتهي الممنوع، فربنا –سبحانه وتعالى– قال له: لك في الحلال غُنية عن الحرام–.

يجب أن نتعلم من تجربة آدم –عليه السلام–

"فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ" بعض العلماء قال هنا ده كان نوع من تدريب آدم –عليه السلام– قبل النزول للأرض، لأن من أول خَلق آدم قال ربنا –سبحانه وتعالى–: "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" البقرة: ٣٠، عايزكم تركزوا معايا النهاردة الدرس دسم شوية، لأن بيتكلم على العداوة الأصلية بين آدم وبين الشيطان، وبالتالي احنا المفروض نستمر في هذه العداوة، والآيات بتشرح كيفية مداخل الشيطان لإيقاع بني آدم، فاحنا عايزين نكون مركزين، لأن ربنا أمرنا أن نتخذه عدوا، احنا عندنا أمر من الله –سبحانه وتعالى–إن احنا مانتعاملش في الحياة بلا مبالاة كأن مفيش شيطان، فيه ناس بتتعامل كأن الشيطان مش موجود، لأ، الشيطان عدو مُتربص وأقسم، وقال "لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ* ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ" الأعراف ١٦: ١٧.

فعايزين نشوف المشهد الأول للمعصية الأولى كيف تمت حتى لا نُكرر هذه التجربة، فيه ناس مُصممة تاكل من الشجرة علشان تصدق إن أوامر ربنا –سبحانه وتعالى–كانت صح، فيه ناس مُصممة تمشي لغاية آخر الطريق، طيب كانت تجربة آدم –عليه السلام–كانت التجربة الأولى ولم يكن يعلم، فهذه التجربة قصها الله –عز وجل– علينا كثيرًا حتى لا نفعل مثل ما فعل.

تزيين الشيطان الممنوعات لبني آدم

نعود فقال ربنا –سبحانه وتعالى–: "فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ"، بعض العلماء قال زي ما قلنا "إن ده كان نوع من التدريب لآدم"، تقوية ملكات الامتناع، إنك إنت تتعود إن فيه شيء إنت تُمنع منه، وزي ما قلنا الإنسان دايمًا الممنوع عنده مرغوب، حتى بعضهم كان بيقول في السلوك النفسي للإنسان لو اتقاله إنت ممنوع من الكلام، إنت طول اليوم تتكلم براحتك وممنوع من الكلام من الساعة ٢ للساعة ٣ بالليل هو غالبًا في الوقت ده بيكون نائم لكن لما بيجيله الأمر ده بيفضل إيه متوتر ويحس إن الكلام كله هيطلع من الساعة ٢ لـ ٣ بالليل ويحس إن هو بيعمل شيء عظيم وتلاقيه يسهر اليوم ده تحديدًا اللي اتمنع فيه من ٢ لـ ٣ وقاعد يقاوم وكل شوية يبص في الساعة وفاضل عشر دقايق علشان أتكلم.

هو أصلًا الموضوع ماكانش مهم بالنسبة له، لكن لما جاله الأمر أصبح الشيطان والنفس تُهول هذا الأمر يحس إن النهي ده من ٢ لـ ٣ أكيد فيه حاجة هتحصل لو اتكلم فيُضخم له الشيطان هذا الأمر، ممكن يكون الأمر كان عادي وهذا أول سبيل من سبل الشيطان كما سنرى قضية التزيين.

أمرنا الله –سبحانه وتعالى– أن لا نقترب من الشهوات

فهنا قال ربنا –سبحانه وتعالى–: "فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ"، الله –عز وجل– هو الذي خلق الإنسان وقال ربنا –سبحانه وتعالى–: "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ" الملك: ١٤، الله –عز وجل– يعلم مدى ضعف الإنسان، ويعلم ما هي نقاط ضعف الإنسان فلما بتأتينا الأوامر من الملك –سبحانه وتعالى– لابد أن ننفذها كما أمرنا ربنا، فهنا ربنا –سبحانه وتعالى– لم يقل "ولا تأكلا" ولكن قال: "وَلاَ تَقْرَبَا"، لماذا قال ربنا –سبحانه وتعالى–ولا تقربا هذه الشجرة؟ ليه؟ لإن الإنسان ضعيف "وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا" النساء: ٢٨، الإنسان فيه ضعف، "لما صَوَّرَ الله –عز وجل– آدم في الجنة" كما يقول النبي –صلَّى الله عليه وسلم–في صحيح مسلم–: "لما صَوَّرَ الله –عز وجل– آدم في الجنة وتركه ما شاء الله أن يتركه، جعل إبليس يَطِيف به فعلم إنه أجوف"[1].

لما عرف الشيطان إن سيدنا آدم أجوف قبل أن تُنفخ فيه الروح، "علم أنَّه خُلِقَ خَلْقًا لا يَتَمالَكُ"، ده نص النبي –صلَّى الله عليه وسلم– "خُلِقَ خَلْقًا لا يَتَمالَكُ" ، قال النووي: "أي لا يتمالك أمام الشهوات"، إن الإنسان وهو بعيد عن الشهوة عنده قوة، عنده مناعة، كلما ازداد قربه، طالما باختياره مش بلاء، كلما ازاداد قربه، كلما قلت المناعة، والضعف بيزداد، فالأَولى إن الانسان يكون بعيد، فربنا –سبحانه وتعالى–قال له: "وَلاَ تَقْرَبَا" حتى لا تضعف، لأنك إنت لو قربت ثم أمرتك بعد أن اقتربت ثم نَهيتُك بعد أن اقتربت يكون الأمر شديد على النفس، لذلك دايمًا الوقاية خير من العلاج، وهنشوف إن ازاي آخر الأعراف مرتبط بهذه القصة، آخر سورة الأعراف مرتبط بهذه القصة، الأوامر الختامية خلاص اللي بتُختم بها سورة الأعراف، والوحدة الواحدة المرتبطة بها هذه السورة، ازاي خُتمت السورة بإشارات لهذه القصة.

---

[1] "لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ في الجَنَّةِ تَرَكَهُ ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إبْلِيسُ يُطِيفُ به، يَنْظُرُ ما هُوَ، فَلَمَّا رَآهُ أجْوَفَ عَرَفَ أنَّه خُلِقَ خَلْقًا لا يَتَمالَكُ" صحيح مسلم

فقال ربنا –سبحانه وتعالى–: "وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ" برضه عايزين نركز في هذه الآيات هنا على أسماء الإشارة، اسم الإشارة مهم جدًا معانا النهاردة، هذه اسم إشارة للقريب، مفرد مؤنث قريب، يعني هو نُهي عن كام شجرة؟ عن شجرة واحدة والجنة مليانة شجر بالرغم إن هي شجرة واحدة، وإن كان بعضهم –قلة من المفسرين– قال: "إن هو نُهي عن جنس من الشجر"، يعني مش شجرة واحدة، يعني مجموعة لكن شجر حاجة واحدة ثمرة معينة، أيًا كان، هذه اسم اشارة للقريب، طب وهنا ليه الإشارة جت للقريب؟ حتى يعلمها جيدًا، علشان ما يقولش يارب أنا ماخدتش بالي، أصل أنا كلت الشجرة دي كنت فاكر إن المنهي عنه إيه؟ الشجرة اللي جنبها، لأ، هي الشجرة دي، دي اللي حرام.

أحيانًا الإنسان لما بيحب يتحايل على نفسه هو مش بيتحايل على ربنا، هو بيتحايل على نفسه، أصل أنا ماخدتش بالي، مكنتش عارف إن ده بالضبط اللي حرام، أنا كنت معتقد، لأ، هو الحرام واضح، "الحلال بَيِّن والحرام بَيِّن بينهما أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه"[٢]، هنا الحرام واضح، لا تقربا إيه؟ هذه، دي واضحة أدامك لا تقربا، لأنك إنت لو قربت هتضعف هتأكل، فمن الأول امتنع عن اللحظة الأولى، زي ما قلنا كيف كان يأمر النبي –صلَّى الله عليه وسلم–بعض الصحابة بكتمان بعض المشاعر اللي ممكن الإنسان لا يتحكم فيها كالغضب مثلًا قال له "لا تغضب"[٣]، طب ازاي الغضب ده شيء أصلا ممكن يحصل لا إراديًا، خلاص لا تضع نفسك في المواطن التي تجلب لك الغضب.

يبقى أحيانًا الأمر بيجي إنك تبتعد عن المواطن اللي بتجعلك تقع في المعصية، يعني إنت مش هتروح تقعد في مكان فيه معاصي وتقعد تتفرج وتزداد الشهوة وتستعر الشهوة وبعدين تقول أنا مش قادر، طب ما إنت اللي عملت في نفسك كده؛ إنت اللي اقتربت من النار.

من اقترب من المعصية غالبًا سيقسط فيها

"وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا" أي بمجرد الاقتراب الفاء هنا رتبت إن الإنسان يقع في الظلم بمجرد الاقتراب، "وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ"، لأن غالبًا اللي هيقترب هيسقط، زي دايمًا المفروض يتحط على المعصية كده يافطة من بعيد ممنوع الاقتراب أو التصوير وعلامة جمجمة كده وعضمتين؛ هتنفجر فيك، يعني المعصية دي لو قربت، إنت بيزداد بُعدك عن الشيء على قدر خطورته، يعني مثلًا لو فيه كرسي كهربا وخايفين ناس تتكهرب فتلاقيهم يحطوا معدن وحاجات وبعدين يعملوا سور صغير كده علشان محدش يقرب من المكان ده، تخيل لو ده مكان فيه ألغام ممكن تنفجر. طب تخيل فيه قنبلة نووية، على قدر خطورة الشيء على قدر ما يكون المسافة من قبلها مثلًا يقول لك على

---

٢ "سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: وأَهْوَى النُّعْمانُ بإصْبَعَيْهِ إلى أُذُنَيْهِ، إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، وإنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وبيْنَهُما مُشْتَبِهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وعِرْضِهِ، ومَن وقَعَ في الشُّبُهاتِ وقَعَ في الحَرامِ، كالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فِيهِ، ألا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا وإنَّ حِمَى اللهِ مَحارِمُهُ، ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ" صحيح مسلم.

٣ "أنَّ رَجُلًا قالَ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أوْصِنِي، قالَ: لا تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرارًا، قالَ: لا تَغْضَبْ" صحيح البخاري.

بعد ٥٠ كيلومتر مثلًا مكان خطر، فالذنب أخطر لأن الذنب تسبب في هبوط آدم من الجنة، وتسبب في هزيمة أُحد، وتسبب في إهلاك الأقوام، فإذا كان الذنب بهذه الخطورة، كلما أنا أيقنت بخطورة الذنب كلما ابتعدت عنه، الجريء على الذنب هو لا يعلم خطورته، يقول لك إيه يعني إنتوا أصلًا متشددين إنتم بتعملوا ليه كده؟ لأن أنا خايف؛ هي القضية مش تشدد، القضية إنك خايف على نفسك، أنا أعلم ضعفي جيدًا، أنا مش محتاج حد هنا يشرح لي، أنا أعلم ضعفي لطالما وقعت.

أنا إيه اللي يخليني أقرب؟ أنا أضحي بنفسي ليه؟ اللي عايز يقرب هو يقرب، لكن كيف أضحي بديني، الأمر عندي أخطر من ذلك، اللي دينه عنده عظيم، وبيخاف من الذنب يبتعد، وتلاقيه ده يسأل كثيرًا في نقاط المكروه والحرام، وارسم لي الخط الفاصل بين المكروه والحرام لو سمحت، هو مابيتكلمش في المنطقة دي كتير هو بيبتعد أصلًا.

فالأمر الأول لآدم بعدم القُرب، النهي الأول لآدم –عليه السلام–بعدم الاقتراب، "وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ"، من الذين ظلموا أنفسهم احنا قلنا "بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ" الأعراف: ٩، وقلنا "خَسِرُوا أَنفُسَهُم" هنا " فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ"، لأن بيظلم نفسه هيضيع الخير اللي هو عايش فيه، أول لما بيجي نهي، "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ"، "وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ"، احنا قلنا الشيطان قاعد منتظر أي أمر أو أي نهي علشان يتدخل قال –صلَّى الله عليه وسلم–: "إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه كلها"، أراد هو لسه ما أسلمش، "أراد أن يسلم فأتاه الشيطان، أراد أن يهاجر فأتاه الشيطان، أراد أن يجاهد فأتاه الشيطان"[٤]، الشيطان بيجيلك وإنت بتفكر تعمل الطاعة بيجي معاك، بيبدأ معاك القصة من الأول، وإنت لسه والمنبه بيضرب علشان تقوم تصلي الفجر، لأ من قبل ما المنبه يضرب.

وإنت داخل تنام "يعقد الشيطان على قافية أحدكم ثلاث عقد يضرب على كل عقدة؛ عليك ليل طويل فارقد"[٥]، شوف الشيطان بيجهز من أمتى، شوف بيجهز موضوع قيام الليل والفجر من وإنت داخل تنام، يعني لو إنت داخل تنام الساعة ١٠ وناوي تصحى الساعة ٣ هو مش بيجي الساعة ٣، الشيطان بيجي معاك من الساعة ١٠ علشان ماتقومش للقيام، فالشيطان دايمًا بيستعد من بدري.

الشيطان لا يمل من الوسوسة ويأتي تدريجيًا

[٤] " إنَّ الشَّيطانَ قعدَ لابنِ آدمَ بأطرُقِهِ ، فقعدَ لَهُ بطريقِ الإسلامِ ، فقالَ : تُسلمُ وتذرُ دينَكَ ودينَ آبائِكَ وآباءِ أبيكَ ، فعَصاهُ فأسلمَ ، ثمَّ قعدَ لَهُ بطريقِ الهجرةِ ، فقالَ : تُهاجرُ وتدَعُ أرضَكَ وسماءَكَ ، وإنَّما مثلُ المهاجرِ كمَثلِ الفرسِ في الطِّوَلِ ، فعَصاهُ فَهاجرَ ، ثمَّ قعدَ لَهُ بطريقِ الجِهادِ ، فقالَ : تُجاهدُ فَهوَ جَهْدُ النَّفسِ والمالِ ، فتُقاتلُ فتُقتَلُ ، فتُنكَحُ المرأةُ ، ويُقسَمُ المالُ ، فعصاهُ فجاهدَ ، فقالَ رسولُ اللَّهِ : فمَن فعلَ ذلِكَ كانَ حقًّا على اللَّهِ عزَّ وجلَّ أن يُدْخِلَهُ الجنَّةَ ، ومن قُتِلَ كانَ حقًّا على اللَّهِ عزَّ وجلَّ أن يُدْخِلَهُ الجنَّةَ ، وإن غرِقَ كانَ حقًّا على اللَّهِ أن يُدْخِلَهُ الجنَّةَ ، أو وقصتهُ دابَّتُهُ كانَ حقًّا على اللَّهِ أن يُدْخِلَهُ الجنَّةَ" صححه الألباني.

[٥] "يعقدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسِ أحدِكم إذا هو نام ثلاثَ عُقَدٍ ، يضربُ على كلِّ عقدةٍ : عليك ليلٌ طويلٌ فارقد ، فإنِ استيقظَ فذكر اللهَ انحلَّتْ عقدةٌ ، فإن توضأَ انحلَّتْ عُقدةٌ ، فإن صلَّى انحلَّتْ عُقدةٌ فيُصبحُ نشيطًا طيِّبَ النفسِ قد أصاب خيرًا ، و إن لم يفعل أصبح كسلانَ خبيثَ النفسِ ، لم يُصِبْ خيرًا" صححه الألباني

فأول ما بيجي أمر لسه سيدنا آدم مفكرش الأمر ولا النهي ولا هيعمل فيه إيه، جه الشيطان مباشرة فاء السرعة، "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ"، الوسوسة فعل بيسموه رباعي مكرر، يعني بيجي دايمًا من الفعل ده بيتكرر، الشيطان مش بيجي مرة واحدة يقول لك اعمل المعصية دي، بلاش تصلي الفجر، فتقوله لأ هاقوم أصلي طب خلاص أنا آسف السلام عليكم، لأ، الشيطان مابيزهقش مابيزهقش.

شوف يقول النبي –صلَّى الله عليه وسلم– "فإذا قام فذكر الله انحلت عقدة"، يعني واحد قام من النوم وذكر ربنا والشيطان لسه معاه مش هيسيبه، فإذا قام بعد أن ذكر الله وتوضأ انحلت عقدة، يعني ممكن واحد يقوم ويذكر ربنا ويتوضأ ويرجع ينام تاني، عارفينها طبعًا، –قديمة الكلام ده متكرر معانا كتير، فيقول لك إيه طب بس دقيقتين ونص دقيقتين إنت يا ما علمتها دقيقتين، إنت أصلًا –ما شاء الله– عندك لياقة، وإنت متميز في موضوع الدقيقتين ده ايه المشكلة في الدقيقتين؟ وبعدين معقول بعد ماتوضيت هتنام؟ آه، فالشيطان لا ييأس فكلمة وسوس، والوسوسة بيقوله ده صوت الحُلي، صوت المُحبب للنفس الخفي مش المزعج المتكرر، صوت خفي مُحبب إلى النفس متكرر.

المعركة مع الشيطان معركة صبر ومثابرة

يبقى المعركة دايمًا مع الشيطان معركة صبر ومثابرة، إنك إنت تفضل ثابت، الشيطان بيعتمد إن إنت جواك أجوف، فيه ضعف، يستغله، يُداعب هذا الضعف، فيه زراير معينة كده جواك الشيطان عارف إن لو ضغط عليها إنت بتضعف، فبيقعد يدرسك كويس جدًا، فانت من الأول لازم تبتعد عن مواطن هذا الضعف، لذلك ربنا قال في ختام السورة: "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ" الأعراف:٢٠١، لسه بيلف وبيطوف علشان يقرر هيدخل منين ولسه باديء يمس الشيطان بيقوموا مباشرة ينتفض، ويتذكر، حتى يصرف هذا الشيطان.

لكن اللي هيستمع للوسوسة وهيصغي إليها غالبًا هيقع، طب أنا لما تجيلي الوسوسة لذلك ختام السورة الأوامر للمتقين لا يُصغوا إلى الوسوسة ولكن يصغوا "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ" الأعراف: ٢٠٤، لما تيجلي الوسوسة أقوم اسمع قرآن، أُذكر نفسي بآيات الله حتى لا أسمع إلى الوسوسة، فيه ناس إذا جاءتها الوسوسة تسمع وتنصت وتستمع وتركز وتطبق بالحرف، وإذا جه القرآن هو لا يفكر، لأ المفروض نعكس.

هناك مدخل خاص يدخل مني الشيطان لكل إنسان

فهنا "فَوَسْوَسَ لَهُمَا" اللام الخاصة دي إن دخله المدخل بتاعه، خاص، كل واحد له لام بتاعته، المدخل الخاص، زي ما بقول لك عنده ضعف في مسألة النساء، ده ضعف في مسألة الشهرة، ده ضعف في مسألة المال، ده عنده مشكلة كذا، وسوسة خاصة، مش حاجة كده اسطمبة الشيطان حافظها بيجي لكل واحد، يلا اعمل كذا، لأ، ده بيدخل ده من مدخل ده بتاع دين خلاص نخشله من الدين ايه المشكلة يعني؟

شياطين الإنس في عهد النبي –صلَّى الله عليه وسلم– لما كانوا يحبوا يروحوا لمحاولات إن هما إضلال للنبي –صلَّى الله عليه وسلم–وحاشاه لم يقع –صلَّى الله عليه وسلم– وأخبرنا الله –عز وجل– أن الله حفظه –صلَّى الله عليه وسلم– المحاولات ديه كانت غالبا مدخلها من الدين، يقولوله إيه؟ اطرد الضعفاء علشان نُسلم، طب أنا أطرد الضعفاء ليه يعني؟ علشان احنا بس نُسلم، مش عارفين نقعد معاهم طب انت بس لو تطرد الضعفاء احنا هنكون من المُقبلين على الدين، وديه أمنية عند النبي–صلَّى الله عليه وسلم– إن يؤمن الناس، فالشيطان يدخل سواء شيطان الإنس أو الجن كل واحد له الحاجة الخاصة بتاعته، اللي هو عايزها.

علو همة الشيطان

"فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ"، يبقى الشيطان أول لما بيجي الأمر أو النهي، يجي صوت مُحبب إلى النفس خفي متكرر لا يمل، وحاجة خاصة بيك انت، ليه الشيطان يعمل كده؟ فيه نقطة مهمة جدًا، الشيطان مش غرضه المعصية فقط، يعني لو على أد المعصية إنك تعمل معصية، لأ، الشيطان احنا قلنا الشيطان عنده ايه المرة اللي فاتت؟ عنده علو همة واتكلمنا ازاي نتعلم علو الهمة من الشيطان، الشيطان طلب الإنظار إلى يوم البعث علشان ميفوتش ولا واحد، بيبدأ مع كل واحد من لحظة الولادة مش بيستنى مرحلة البلوغ، الشيطان بيقعد على كل الطرق، "أطرقه كلها"، الشيطان عنده إيه؟ علو همة.

الشيطان يريد أن ينزل بنا لأسفل سافلين

يعني فيه واحد لما يدعو الناس مثلًا إلى الدين أو الالتزام بيرضى بالقليل، لأ في واحد عايز يعلى بالناس هو الشيطان كده، عايز ينزل بالناس تحت أوي، يعني بيطلب مش بس إنك تعمل معصية، لا "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ"، ركز معايا في الحتة دي "لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا" الأعراف: ٢٠، يعني إيه بقى الكلام ده؟ نتكلم بس بسرعة في الحاجات اللي بتضايقكم دايمًا في اللغة معلش أنا آسف، أنا بعتذر يعني، "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ"، اللام دي اسمها إيه؟ العلماء اختلفوا قالوا لو الشيطان كان عارف إيه اللي هيحصل وكان متوقع إيه اللي هيحصل يبقى اللام دي لام التعليل، يبقى هو كان قاصد إظهار السوءات، كان عارف أن ده هيحصل، متوقع إن ده هيحصل، سواء عارف أو متوقع، بعضهم قال لا الشيطان مكنش يعرف إيه اللي هيحصل، فاللام دي بيسموها لام العاقبة.

لام العاقبة إن ممكن واحد يعمل حاجة تؤدي إلى عاقبة معينة هو لم يكن يعرفها، "فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ" القصص: ٨، هو فرعون لما التقط سيدنا موسى كان قاصد أن سيدنا موسى يكون له عدو وحزَن، لا ده بالعكس قال إيه "عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ" القصص: ٩، زوجته قالت له كده، فهو لما التقط سيدنا موسى لم يكن يتعمَّد أن يكون موسى –عليه السلام– عدوًا له وحَزنا، فاللام دي هناك سموها لام العاقبة، إن الفعل بتاع فرعون من غبائه كان مآل هذا الفعل، أنه كان وبالًا عليه، فهنا قالوا لو أن الشيطان لم يكن يعلم ذلك، قالوا اللام دي هنسميها لام العاقبة، لو كان عارف ومتوقع قالوا اللام دي لام التعليل، بعض العلماء أصر إن هي لام التعليل، وقال حتى لو

مش عارف بالضبط إيه المشكلة اللي هتحصل تحديدًا لكن هو موقن أن طالما ربنا نهى عن شيء، إن الأمر ده أكيد لو اتعمل؛ النهي ده لو أنت عصيت ربنا أكيد فيه مفسده، عشان كده قالوا إيه، الشيطان موقن أن فيه مفسدة هتحصل بعصيان الله –عز وجل– هو يعلم ذلك.

الشيطان كان هدفه أن يُظهر السوءة

الشيطان وسوس عشان إيه؟ سواء بقى العاقبة أو التعليل وأنا أميل إن هي للتعليل يعني ليه؟ عشان يُظهِر ما وُري عنهما من سوءاتهما، الكلام اللي الموجود في التفاسير اختلفوا هل السوءة هنا المقصود بيها السوءة الحسية ولا سوءة معنوية، حب المعصية، واللي قال إن هي سوءة حسية ده كتير من المفسرين استنادًا على آثار عن بعض السلف مروية في الإسرائيليات، قال أن السوءة كان آدم –عليه السلام– وحواء كانت سوءة مغطَّاه بنور أو بأظفار أو بغير ذلك وهم لم يكونوا يدركون ذلك، أشبه بعض المفسرين قال أشبه بالطفل الصغير الذي لايشعر بسوءته لا يشعر بها، معندوش إدراك لهذا الأمر.

الشيطان دوره أن يُظهر الفجور الذي بداخلنا

فسقط هذا الغطاء فلما رأوا السوءة فقالوا هنا المقصود السوءة الحسية وإن كان الشيطان يريد ذلك، وبعضـــهم قال السوءة المعنوية حب المعصية ظهر جواهم، أيا كان ده اللي حصل مع سيدنا آدم، طب أمال احنا بقى الشيطان عايز، يعني إيه الشـيطان يوسـوس لينا حتى يبدي لنا ما وُري عنا من سـوءاتنا؟ يعني إيه بقى الشـيطان يعمل معانا كده؟ احنا الآيات دي عايزين نعيش بيها في حياتنا، بداخل كل نفس ونؤكد دائمًا على هذا المعنى، بداخل كل نفس فجور وتقوى، أنا ممكن مش عارف الفجور اللي جوايا، مش عارف، تلاقي مثلًا الشاب أو الفتاة في ثانوي أو في إعدادي أو في الجامعة، هي فيها نوع أو الشاب فيه نوع من الطيبة والسذاجة، وغَرّ كده ميعرفش المعاصي، فتلاقيه في أول دخوله سواء ثانوي أو جامعة، تلاقيه طيب ملوش علاقة بالبنات مش بيفكر في معاصي معينة ميعرفش حاجة.

ممكن تسيبه في الجامعة مثلًا ثلاث أربع سنين شوف التحول اللي بيحصله، تلاقي شكله اتغير وشعره اتغير ولبسه اتغير، وطريقة كلامه اتغيرت، كل حاجة اتغيرت، ده كان فين؟ ده كان جواه البيئة اللي اتحط فيها أظهرت هذا الفجور، كان ليا أحد أصدقائي يعني أعرفه، كان طيب جدًا وغلبان، سافر بره لدولة أوروبية، و–العياذ بالله– رجع قمة الجرأة، أنا تعجبت فلان؟ أصبح عنده جرأة يتكلم عن الزنا أنه أمر عادي، هذا الفجور كيف ظهر، هذا الفجور كان بداخل النفس، يبقى دور الشيطان إظهار الفجور اللي بداخلنا، أنه يحطك في جهات معينة تجد بنت طيبة، ممكن تبقى غلبانه مثلًا من الأرياف، حيية، تميل إلى الستر، تستحي، تشوفها مثلًا في بداية دخول الجامعة تلاقيها طيبة جدًا، وغلبانه، وقاعدة بينها وبين أي ولد مسافة ٢٠ متر وتستحي، شوف ثلاث أربع سنين في الجامعة، شوف تلاقيها صوتها أد كده، وتنادي هي على الولاد، لو رحت أنت تكلمه تقول لك في إيه اللي حصل؟ إيه اللي حصل يعني غلط؟

إيه ده التطور ده حصل إزاي؟ هذا كان بداخلها، الشيطان مش بس عايزك تعصي، عايز يطلع اللي جوه ده، حتى لا تكون المعصية لحظة عابرة، حتى تتحول المعصية إلى طبع، إلى خُلُق مستمر، إلى شهوة مُستعرة، الشيطان يريد استعار الشهوات، عايز يخلي الشهوات مستعرة، المصيبة اللي بتحصل مش إنك أنت عملت المعصية، المصيبة اللي بتحصل إن السوءة ظهرت، إن الشهوة استعرت إن تحولت إلى أحلام يقظة مستمرة في الذهن هي دي المصيبة.

لذلك العلماء لما بيقارنوا الأفضل اللي معملش معصية خالص وفضل طول عمره على طاعة، ولا اللي عمل معاصي وتاب؟ ويقارنوا إن اللي عمل معاصي وتاب ده بتتحول سيئاته حسنات، ومقارنات طويلة في الآخر العبرة بمن صدق فيهما يعني، كل واحد عنده مشكلة فيهم، من مشاكل اللي عمل معاصي وتاب وكلنا ذلك الرجل، إن بيفضل يجاهد نفسه دايمًا، يفضل الأمر في صدره، هذا الأمر في داخل صدره يجاهد دائمًا، لابد أن يكون على حذر حتى يتخلص من هذه الشهوة.

الفرق بين التوبة والتخلص ومن آثار المعصية

وهنتكلم إن التوبة من الذنب شيء والتخلص من آثار المعصية شيء آخر، يعني إن أنت ممكن واحد يتوب لكن لسه آثار المعصية عليه، يحتاج أن يدفع ثمن التخلص من أثر الذنب، زي اللي بيشرب مخدرات كده، هو على جنازة صاحبه لما مات، أو في درس وعظ أو أو تاب إلى الله، لكن لسه المخدرات في دمه، يحتاج بقى شهر شهرين ثلاثة سنة، عشان يتخلص تمامًا، كل هذه الفترة تحتاج إلى مجاهدة، فهنا الشيطان عايز إيه؟ الشيطان مش بس عايزك تعصي، الشيطان عايز يغير أخلاقك، يغير طموحاتك، وهمومك، وشهواتك، بعد ما كنت ممكن تنام قبل ما تنام تفكر تنصر الدين إزاي، لا هو إزاي تعمل معصية في أحلام اليقظة.

و أنت بتستغرب أنا مكنش جوايا كده أنا كنت طيب، أنا مكنتش بفكر التفكير ده إيه اللي حصل؟ "لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ"، كان مستخبي عنك ده، كان ده مستخبي عنك كنت طيب، مكنتش عارف أن الشهوات دي موجودة، اللي ميعرفش إن فيه قنوات وأفلام وفيديوهات، ميعرفش الحاجات دي خالص، ويبدأ الشيطان يوقعه، يبدأ يكتشف جواه هذه الشهوة وتستعر ويجاهد ليتخلص، فدور الشيطان مش بس إنك تاكل من المعصية أو تعمل المعصية، لا، إن هو الشيطان عايز يطمن أن حتى لو تبت إنت لسه ممكن أوقعك تاني.

بداية وسوسة إبليس لآدم –عليه السلام–

"لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ" ،مكنوش عارفين "مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا"، "وَقَالَ"، يبقى الشيطان بدأ الوسوسة، حدد الهدف بتاعه، حدد الهدف، أنا عايز من ده إن أنا أغير وجهته، إن أنا أظهر جواه حاجة مكنتش موجودة، وبدأ ينفذ، "وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ"، طبعًا لما ربنا يقول لنا هنا في القرآن كلام الشيطان يبقى ده محتاج يتدرس، يعني دي أساليب شيطانية لإيقاع الناس، بعض العلماء قال عشان نفهم الجملة

دي، محتاجين نربط قصص القرآن ببعضه، وقالوا أن أول جملة قالها الشيطان لآدم، اللي كانت في سورة طه مش اللي في سورة الأعراف، وإن الجملة كانت "هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ" طه: ١٢٠، ثم الجملة الثانية "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا"، وبتجميع قصص القرآن بنفهم الأحداث تمت إزاي.

طريقة الشيطان في إغواء بني آدم

الشيطان أول لما جه نبدأ بقى في سورة طه قال له إيه؟ مقلوش زي ما قلنا الشيطان مش بيجي يقول لك يلا نروح نعمل المعصية دي، بص على البنت الفلانية مش باصص لا هتبص، هو لو عمل معاك كده والله ما أنا باصص، إنت أصلًا هيستثير جواك الإيه، لكن الشيطان إيه ده إيه ده، إيه اللي هناك ده لا مش البنت الشجرة، آه شوف يا أخي الشجرة –سبحان الله– يا أخي، هو مش بيقول لك بص على البنت أنت اللي بصيت أنت حر بقى، أنا مقولتلكش بص على البنت، الشيطان يجي يقول لك إيه ميقولكش اعمل المعصية، يجيبهالك في صورة استفهام كأنه إيه، عارف تحب تشرب حاجة، "هَلْ أَدُلُّكَ"، لو مش عايز خلاص إنت حر، أنا كنت عايز أقول لك بس، لو إنت بتسأل يعني لو أنت مش من هنا وغريب وبتسأل على شجرة الخُلد أنا ممكن، مش عايز خلاص إنت حر.

من حيل الشيطان تسمية المعاصي بغير اسمها

"هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ"، ربنا مقلش ولا تقربا من شجرة الخُلد، مين اللي سماها شجرة الخُلد؟ الشيطان، يعني ربنا مقلوش، ربنا مسماش، يبقى أول حاجة غير اسمها، لعب في المصطلحات يغير اسم المعصية، ميسميهوش زنا، ميسميهوش ربا، ميسميهوش كده، لأن ده هيفضل مبغَّض إلى النفس، لو فضل باسمه المعصية، لذلك أخطر لعبة دايمًا اللعب بالمصطلحات، إن يسميه حرية، وممكن يكون الحرية دي مش لازم، ممكن يكون ده فجور أكبر، "بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ" القيامة: ٥، بتكلم مع أحد الشباب بتناقش معاه في بعض القضايا الإلحادية، فبيقول لي خلاص ده اللي معندش نضج فكري ميقراش الكلام ده، قلتله ده مسموش نضج فكري، ده اسمه ضلال، مسموش نضج، إنت نسمي الحاجات بأسمائها.

تغيير إسم المعصية لإسم مُحبب إلى النفس

لذلك أهم خطوة للرجوع، تسمية، الرجوع للاستعمالات القرآنية، مؤمن، منافق، كافر، فاسق، معصية، حرام، حلال، نرجع لاستعمال القرآن، مش نرجع نسمي الأسماء بغير مسمياتها، فأول حاجة عملها الشيطان أنه غير الاسم، طيب لما غير الإسم سماها إيه شجرة الحنظل مثلًا، سماها شجرة المُر، سماها شجرة العلقم، سماها شجرة الإيه، يختار اسم إيه مُحبب، يعني حاجة أنت لما تسمع الإسم تحبها شجرة الخُلد، نسميه الفوايد، الربا نسميه إيه، أنت لو عايز تستفاد تعالى عندنا، مش عايز تستفاد أنت حر، بيسميه، إن أنت لو عايز تستفيد تعالى تعامل بالربا، فهنا سماها شجرة الخُلد.

إغواء الشيطان لآدم بالأشياء المحببه لنفسه

طب ليه اختار الخُلد؟ ليه الشيطان لما اختار الاسم، احنا قلنا الشيطان درس سيدنا آدم وقعد يطيف وعلم أنه أجوف، دائمًا الأجوف يحتاج إلى من يسد هذا النقص، لذلك الله –سبحانه وتعالى– هو الصمد لا يحتاج إلى أحد – سبحانه وتعالى– يُطعِم ولا يُطعَم، هو يُصمَد إليه –سبحانه وتعالى–.

هذا الضعف الذي بداخلك لن يكتمل ولن تشعر بالراحة إلا أن تلجأ إليه، الشيطان بيحسسك إنك ممكن تسد هذا الأجوف اللي بداخلك تسده بأشياء أخرى، فالشيطان عارف أن بني آدم خايفين؛ عندهم جوف، فدايمًا دخله من قضية إيه الخُلد، لو إنت عايز متموتش، الخُلد والمُلك، أكتر حاجتين محببين للإنسان، الإنسان خايف يموت، ولما عايز يعيش، عايز يعيش حياة المِلك.

الشيطان يُخرج الشهوات من داخلنا

أكبر مدخلين للشيطان، إن هو خايف على حياتك، وحياتك متبقاش مُتغَّصة، فقال له "هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ"، دخله من الحتتين دول، والشيطان لما طلب طلب الخلد برضه "قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ" الأعراف: ١٤، وقلنا ربنا مدالوش إلي يوم يُبعثون إداله إلى يوم الوقت المعلوم عشان يذوق الموت، فهنا داخله نفس المدخل، شجرة الخُلد، ومُلكٍ لايبلى، السؤال ده استثار شيء كان بداخل سيدنا آدم لم يكن يعلم أنه يحب الخُلد، زي ما قلت لكم أنت ممكن فيه حاجة مش واخد بالك أن الشهوة دي جواك، لما تتعرض تنظر لمشهد حرام، أنت طول عمرك أنا مش في دماغي الفلوس، لا لا أنا ممكن يكون مثلًا أتأثر بأي حاجة، لكن أنا موضوع الفلوس ده اطمن متقلقش، لا ما هو أصل أنت مشفتش فلوس قبل كده، أنت مجربتش نفسك في الفلوس، أنت لو جربت نفسك، هنحكم امتى؟ لما يتحط قدامك فلوس بجد، اللي معاك ده مسموش فلوس، لما يتحط قدامك فلوس بجد وتثبت ساعتها تقول أنت ملكش في الفلوس.

فهو مكنش عارف أن هو بيحب كده، يقول لك أنا موضوع المناصب ده والشهرة هو محدش عارفه أصلًا دلوقتي، يقول لك الموضوع ده أنا بستغرب والله الناس اللي بتتشهر وبتضل دي أنا بتعجب والله، وتلاقي عند أول خمسة لايك، تلاقيه، إيه يا ابني إيه اللي حصل؟ أنت إيه اللي حصلك، مهو مجربش، فأحيانًا الإنسان ميبقاش متوقع إن دي نقطة ضعف عنده، فالشيطان بيستثير ده، الخُلد، سيدنا آدم لما يسمع الخُلد يعني مش هموت وملِك، وعلى طول وأكلة وأتوب بعدها، أنت تبدأ إيه أنت التساؤلات دي مكنتش جواك أصلًا، يعني أنت كل يوم بتروح الجامعة وترجع عادي تنام، تذاكر تروح وترجع، الشيطان خلاك تبص على حد، بدأت تفكر.

مراحل إغواء الشيطان لبني آدم

قعد يكلمك عن معصية، عن رحلة حرام أنت مكنش في ذهنك، قريت الإعلان، رحلة لمكان كذا بس ده هيبقى فيه حرام، أنت مكنش في دماغك أصلًا، ده تم استثارته بداخلك، فتروح تقعد تفكر، طب أروح ولا مروحش، طب هينفع طب افرض مت هناك، طب بس افرض ممتش، طب افرض ملحقتش أتوب، طب افرض لحقت تتوب، تبقى أنت ضيعت عليك الفرصة، وتدخل في نقاشات مع نفسك مكنتش جواك أصلًا، الشيطان بيعمل رقم ١: التزيين عن طريق تسمية

الأشياء بأشياء محببة للنفس، رقم ٢: استثارة الداوافع اللي جواك، الشيطان قبل ما يقول لك على حاجة لازم يحول الشيء ده لأمنية عندك، أحد معاني قول الله –عز وجل– ، وإن كان اللغوين اختلفوا في المعنى ده، "الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ" محمد: ٢٥، بعضهم قال سوَّل أي سهل، خلى المعصية سهلة، وبعضهم قال سوَّل أي جعل المعصية سؤلك طموحك، يخلي المعصية أمنيتك.

"يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ" النساء: ١٢٠، "وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ" النساء: ١١٩، قبل ما يأمرك الشيطان يعمل إيه يخلي المعصية أمنيتك، "الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم" البقرة: ٢٦٨، الشيطان بيلعب على المشاعر الأول قبل ما بيدي أوامر، لذلك الداعية المفروض يعمل كده، أنه يغير مشاعر الإنسان تجاه الله، تجاه الجنة، تجاه النار، قبل أن يعطي الأوامر والنواهي، الشيطان بيلعب على المشاعر، يخلي المعصية تتحول إلى حلم، إلى أمنية، إلى طموح، إلى سؤل عندك، ثم بعد ذلك يقول لك طب ما سهلة خالص ما هي طريقها أهه، الشيطان يدخل، تزيين، استثارة الداوفع، وبطريقة غير مباشرة ميخشش وش في وش كده، يعني يجبها رفرف من الجنب، ميخشش إيه روح اعمل.

"هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ"، سيدنا آدم يقعد يفكر، طب إزاي طب فين؟ لا مش عايز أعرف، ويدخل في تساؤلات مع نفسه، عارف يجيلك واحد يقول لك أقول لك على شغلانة، الشغلانة دي هتاخد عشر آلاف دولار في الشهر؟ فتقول له: قول، يقول لك طب استنى بس أنا لسه ما خلصتش العروض، وهيسلموك عربية تبقى بتاعتك أنت، هو قاعد بيتكلم وأنت قاعد إيه، قاعد بتحلم، قاعد بتعد العشر آلاف وتغلط وتعدهم تاني وبتحلم، والعربية بقى قاعد بتحلم وأنت بتخبط برجلك في العجل كده بتاعها، قاعد تعيش وتطلع إيدك بقى من الشباك، تقول له: قول يا عم اخلص، يا عم أنا لسه خلصت العروض، يقعد يسيبك الأول إيه تعيش، بعد ما تعيش يقول لك: ده حاجة بسيطة خالص هنشتغل في الخمر. إيه؟ خلاص بلاش العربية انسى يا عم موضوع العربية ده خلاص، طب مفيش حاجة تانية؟ ويقعد يخشلك داخلة إيه بحيث أنك تسقط يخلّي القوى المانعة اللي بداخلك تنهار.

الشيطان هدفه أن يجعلك تعترض على أمر الله

فدخل المدخل ده مع سيدنا آدم، "هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ"، بعد ما دخل المدخل ده وتمكَّن، واستثار قضية الخُلد، واستثار قضية المُلك وخلاص بقت مستثاره، دخل بقى الأمر المباشر، قال له طب بص بقى أنا عايز أقول لك على حاجة، هنا بقى دخلة الأعراف دخله نوع من الصدام، قلنا مبيبدأش بيها، الشيطان من أهم أغراضه أن يجعلك تعترض على أمر الله، لا أن تعصي الله فقط، الشيطان الهدف النهائي بتاعه إنك تعترض على الشرع وعلى القدر،لذلك لو اللي فيها اعتراض على القدر تفتح عمل الشيطان.

الشيطان يزين لنا ويقربنا إلى المعصية

الشيطان عايزك تقف كما وقف هو، قال له ليه أسجد مش مسجدش وخلاص، لا، "أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ" الأعراف: ١٢، اعترض، هو الشيطان عايزك تعترض، طب الشيطان يخليك تعترض إزاي؟ إزاي الشيطان يستثير بداخلك دوافع الاعتراض؟ أنه يصور لك أن أوامر الله فيها نوع من التقييد لحريتك، لطموحاتك، لدنياك، لأمانيك، بيصور لك إن أنت مسجون، إن الطاعة دي سجن، بيصور لك إن إنت عايش في كرب بسبب الطاعة، وإن إنت لو قررت تعصي إن الحياة كلها مفتوحة قدامك، الشيطان بيلعب على المنطقة دي.

لذلك قال له إيه؟ شوف الخبيث اللعين، "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ" الأعراف: ٢٠، قال له: طب أنا هقول لك بقى، خلاص لما تأكد إن الموضوع تمكن في القلب، وبعضهم هنا قال في إشارة جميلة جدًا، نرجع لأسماء الإشارة، "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ" إيه؟ "هَٰذِهِ"، هذه دي، أنتوا إيه اللي قربكم من الشجرة، مش ربنا قال لا تقربا، ليه الحوار ده بيحصل جنب الشجرة؟ لأن بعد كده ربنا هيقول إيه، "أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا" الأعراف: ٢٢، تلك دي إسم إشارة للبعيد، لما أكلوا والظاهر طلعوا يجروا بعيد عنها، لكن بعد إيه، بعدت عنها بعد إيه؟

الحوار ده بيتم بجوار الشجرة، "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ"، واقفين جنب الشجرة، طب أنت ليه واقف جنبها؟ وسوسة الشيطان مع الاقتراب تسهل الوقوع، "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ"، بيقول له ربنا يريد أن أنت متبقاش كويس، هو ربنا لما نهاك عن دي عشان أنت متبقاش ملِك، وعشان متبقاش مَلَك، وعشان متبقاش مُخلَّد، يعني بيحطك قصاد أوامر ربنا، وهو دي اللي بيعلموه في الطريقة المعاصرة لتبغيض الناس في الشرع، يقول لك على فكرة على الشرع ده هو اللي مسبب لنا الفقر، والشرع ده هو اللى مسبب لنا كذا، وهو اللي مسبب لنا التخلف، وهو اللي مسبب لنا التأخر، ويتكلموا وكأن إن احنا خلاص لو تخلصنا من الشرع كل حاجة في حياتنا هتتصلح.

فهنا الشيطان بيقول له إيه "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا"، حتى الكلام متناقض، إزاي يبقى ربكما الذي يربيكم بنعمه، وينهاكم عن شيء يكون فيه مصلحة، إزاي؟ "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا"، وبصيغة الحصر والفصل، يعني بيقول له الغرض الوحيد من النهي عن الشجرة إنك ما تبقاش كويس، "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ"، القراءة المتواترة "مَلَكَيْنِ"، القراءة خارج المتواتر ملِكين، المُلك يعني زي سورة طه، إنما هنا "مَلَكَيْنِ".

من طرق وسوسة الشيطان أن يجعلك تنظر إلى ما عند غيرك

هنا أيضًا من الدوافع اللي ممكن تُستثار أن سيدنا آدم قعد يبص على الملايكه وإن دايمًا من أسباب الوقوع في المعصية النظر إلى الغير، طب ربنا فضلك وعلمك من الأسماء، وعلمك الأسماء كلها، وأسجد لك الملائكة، لكن هو لقى أن الملايكة عندها حاجات مش عنده، ممكن مثلًا بتطير، العبادة بطريقة معينة، فبقى عايز يبقى زيهم، طب لماذا تنظر إلى غيرك؟ أحيانًا ربنا يديك نعمة معينة ارضى بهذه النعمة، إجتهد فيها، تعبد إلى الله بها، لا تنظر إلي غيرك، أحيانًا من

أسباب الوقوع إنك أنت مشغول بغيرك، طب أنت وُفِقت أنك أنت في العلم، في الدعوة، في أي ثغر من ثغور الدين، الشيطان عشان يصرفك عن ده يخليك تنظر إلى غيرك، في الآخر لا تجمع بين فعلك ولا بين فعل غيرك.

أحيانًا بيكون في فارق دقيق، وده عايز يعني، يعني ممكن لقاء آخر، أو ممكن ترجعوا لمقطع كده إسمه "الفارق بين تحقيق العبودية وتحقيق الإنجاز"، في فارق دقيق بين علو الهمة والطمع، ممكن الشيطان عايزك تبقى طماع وفي الآخر تسقط، فالشيطان هنا جه لسيدنا آدم قال له أنت كمان ممكن تبقى مَلَك، يعنى هتبقى مخلَّد وهتبقى مَلَك، وهتبقى ملك، كل ده من الشجرة؟ والشجرة دي اللي أنا منهي عنها، وإن النهي أساسًا عشان متبقاش كده، "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ".

طبعًا لازم يدخل الدين في الموضوع، والله العظيم أنا بتكلم بجد "وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ" الأعراف: ٢١، الحلفان يقسم بالله، ويعظِّم، وتحس إن دايمًا كلام الشيطان متناقض لكن يوافق هوى النفس، يقول له "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا"، وبعدين يحلف بالرب، "وَقَاسَمَهُمَا"، وقالوا أن صيغة المفاعلة دي، قاسم، المفروض صيغة فاعل دي تأتي للمشاركة، يعني تقاتل فلان وفلان، تصارع فلان وفلان، الاتنين بيعملوا نفس الفعل.

الشيطان يسحبنا خطوة بخطوة للمعصية

فقالوا إزاي قاسمهما؟ بعضهم قال: هما طلبوا منه القسم، وبعضهم قال: أن هذه الصيغة، صيغة المفاعلة تأتي للاجتهاد في الفعل، يعني لما نقول جاهد نفسه، يعني إيه جاهد نفسه؟ يعني بلغ ودفع كل ما في وسعه وأعطى كل ما في وسعه حتى يجاهد نفسه، أو في مقاومة قصاد الفعل، هو عمال يحلف وهما بيقاوموا، يحلف ويقاوموا.

"وَقَاسَمَهُمَا"، وأقسم ويؤكد "إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ"، أنا والله ما عايز حاجة ليا، أنا فاعل خير معدي كده، مش عايز حاجة، ودايمًا زي ما قلت لكم شيطان الإنس أو الجن ميظهرش إن هو عايز حاجة، أنا ناصح، مش عايزين تاكلوا من الشجرة متكلوش، "إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ".

"فَدَلَّاهُمَا" الأعراف: ٢٢، خدوا بالكم الأمور بتمشي ورا بعضها، فوسوس، "فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا"، "فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ"، يعني إيه ""فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ"؟

دلاهما العلماء قالوا فيها معنى من الاتنين، الأشهر اللي عليه الجماهير، إن دلاهما يعني أوقعهما، والمعني تاني جرأهما على المعصية، إن دل أحيانًا بتأتي بمعنى أن يكون الإنسان جريء على شيء، وده خلاف على حسب الجزر بتاع الكلمة، لكن خلينا في الأشهر دل، الدلو لما حد يكون عايز ميه من البئر يظن واهمًا أن في البئر ماءًا، فينزل البئر، يدلِّى البئر خطوة بخطوة بخطوة، ثم لا يجد شيئًا، وقالوا ده مثل بيُضرَب لمن تتبَّع شيئًا فشيئًا فشيئًا، ولم يجد ما يريده، يعني لما الفريسة بتقع، تحطلها طُعم وتسحبها، تسحبها، تسحبها، لغاية ما الفريسة تسقط في الشبكة، أنت كده عملت إيه؟ دليت هذه الفريسة، أغريتها.

لذلك بعضهم كان بيقول من معاني الغرور أن في بعض الحيوانات تختبيء بالليل وتظهر بالنهار، لأن هي بالليل مبتشوفش اللي ممكن يفترسها الأعداء، فأحيانًا في ليلة مُقمِرة تظن أن النهار أتى، فتظهر هذه الفريسة، تظهر معتقدة أن النهار جه فيهجم عليها العدو ويأكلها، فهنا يقول له إيه غُر بها، فإنك تعتقد في الشيء فوق قيمته، أو على غير قيمته أي كان فوق أو تحت، هذا الاعتقاد ده نوع من الغرور، فهما اعتقدوا إن في الشجرة فوق قيمتها، إنك تعتقد في المعصية فوق قيمتها، تعتقد أن المعصية هتُسعدك، تعتقد أن ده هيبسطك، تعتقد إن ده هجيبلك فلوس، اعتقاد واهم.

والشيطان خطوة بخطوة، عارف لما تحط لواحد مثلًا مبلغ على الأرض، ويجي ينط ياخدها تقوم شاددها شوية، يقوم واخد خطوة، يجي ينط ياخدها تقوم شاددها شويه، هو ده التدلية خطوة بخطوة، يقولوا شبهة يرد عليهم، يجوا يمتنعوا يدخل لهم من مدخل تاني، قعد الموضوع فترة، فترة، فترة، واحدة، واحدة، بغرور الباء بعضهم قال الملابسة والمصاحبة كل ده بيصاحبهم الغرور، أو استعمل الغرور.

صبر الشيطان لإيقاع آدم في المعصية

""فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ"، قعد معاهم، الشيطان باله طويل أوي، خد بالك الشيطان ممكن يقعد مع واحد عشان يوقعه في معصية خمس سنين، معندوش مشكلة، هتقول لي خمس سنين عشان يوقعوا في المعصية، آه، لأن المعصية الأولى هتاخد من الشيطان خمس سنين، التانية هتاخد منه خمس دقايق، الثالثة خلاص بقى أسير عند الشيطان، هو الشيطان بيعتمد إن هو يسيطر، إن هو يضع اللجام على الحنك، "لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ" الإسراء: ٦٢، إن هو يظهر السوءة، الشيطان بيعتمد إن هو يغير منك أصلًا، مش على أد المعصية وخلاص.

""فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ" قعد الشيطان يدرس ويطيف، ويقرر، ومداخل، ومدخل غير مباشر، ومدخل مباشر، ويستثير الدوافع، ويضعك في أمر مباشر ضد أمر الرحمن، في حالة ضد أمر الملك –سبحانه وتعالى–، حتى يُظهِر بداخلك الاعتراض، بعد كل ده، وبعد كل هذه المحاولات نجح الشيطان.

الفرق بين من أراد الله به خيرًا ومن يستدرجه الله

"فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ"، فلما ذاقا لسه مبلعوش، لسه ملحقش يتمتع بالمعصية، وهذه المعاملة هي معاملة من أراد الله به خيرًا، إن ميسيبوش يتمتع بالمعصية، "وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ " آل عمران: ١٥٢، المعصية تذهب بكل ما تحب إن كنت ممن يريد الله به خيرًا.

فيه ناس معاملة الاستدراج، ربنا يسيبه يتذوق ويأكل ويشبع ويحوش، وربنا سايبه مينزلش عليه العقوبة، وقد تكون العقوبة معنوية، أنه يزداد بُعدًا من الله –والعياذ بالله–، فهنا "فَلَمَّا"، بمجرد الذوق، "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ".

"فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ"، بمجرد ما ذاقوا من الشجرة "بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا"، قلنا إن ده من رحمة الله –عز وجل– بالعبد، أنه يبغِّض له المعصية، المعصية في أولها ليها لذة، وإحساس الجرأة واللذة بتاع المعصية بالنسبة للمؤمن بينتهي بمجرد اقتراف المعصية، ثم يشعر بندم، ويشعر بضيق، ويشعر بألم في صدره، ويشعر كما سنسمع الآن نداء الرب –سبحانه وتعالى– "أَلَمْ أَنْهَكُمَا" الأعراف: ١٢، يشعر بالعتاب؛ النفس اللوامة، هذا الشعور قد يضمحل مع تكرار الأكل من الشجرة.

فمع تكرار المعصية قد يُعاقب الإنسان و–العياذ بالله– بالاستدراج، هيجيلنا في السورة أُناس عاملهم الله–عز وجل– بالاستدراج، إن ربنا –سبحانه وتعالى– عاملهم بالبأساء فلم يرتدعوا، فأعطاهم السراء حتى عفوا، عفوا؛ نموا وكثرت أموالهم، قالوا "مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ" الأعراف: ٩٥، عادي دي تقلبات في الأحوال ملهاش علاقة بالعقوبات الربانية، هنا تكون الفتنة، "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا"، وظهر سواء بقى السوءة الحسية على قول الجمهور أو المعنوية، الراجح غالبًا، المقصود في الآية الحسية لكن إسقاطه علينا يبقى المعنوية.

فطر الله الإنسان على ستر نفسه

"بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا "، ولما ظهرت السوءة شعور فطري بداخل الإنسان يريد أن يستر نفسه، شعور فطري بداخل الإنسان، فالعجيب كيف يصفون التقدم بالتعرِّي، في حين إن التعرِّي من أخلاق الحيوانات، يعني الحيوانات مش ماشيه لابسه في الشارع، التعرِّي ده تَنَزُّل عن تكريم بني آدم، فكيف يرتضي الإنسان لنفسه هذا؟ من فطرة الإنسان، هو مجلوش أمر بالستر، يعني مجلوش أمر ربنا قال له استر نفسك، الأمر اللي جاله لا تقربا أو النهي اللي جاله لا تقربا، هذا الشعور فطري، مفطور عليه الإنسان أنه يسعى إلى أن يستر نفسه، سواء يستر السوءة الحسية أو يستر نفسه من المعصية، لا يجاهر، لا يتكبَّر.

فالإنسان يتعجَّب بمن يفعل المعصية أمام الناس ولا يستحي، أو المرأة التي تفعل المعصية أمام الناس ولاتستحي، يتعجَّب، يناقض فطرته، "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا"، بمجرد الذوق بدت وظهرت السوءة، "وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ" مباشرة، "يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ"، الخصف تجميع الورق فوق بعضه حتى يسترا نفسهما، "يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا"، ابن عاشور هنا بيقول معنى لطيف، بيقول "تأخر النداء" يعني ربنا مقلش فلما ذاقا الشجرة ناداهما ربهما، لا، "تأخر النداء إلى أن ظهرت السوءة وشعروا بضرر المعصية، ثم انطلقوا يبحثان عن ستر للمعصية، جاء النداء في هذه اللحظة" ليه؟ حتى يكون أمكن للنفس.

لما أنت تشعر بغلطتك وتحس إن أنت ضربت نفسك بالمعصية فيأتيك العتاب في هذه اللحظة، لكن لو إنت لسه لم تشعر بضرر المعصية وأتاك العتاب، لا تشعر بضرر المعصية، لكن في هذه اللحظة بعد أن ظهرت وبدت السوءة، وينطلقان في الجنة يبحثان عن ورق يستران أنفسهما بالورق، جاء النداء في هذه اللحظة، فيتمكن العتاب، ويعطي أثره،

"أَلَمْ أَنْهَكُمَا"، عتاب يذيب القلب المؤمن، لما تتذكر معصيتك وأنت تقرأ هذه الآيات، بتفتكر لما ربنا قال لك متعملش كده، وحذرك، وبعتلك إنذار، ومنعك، وحال بينك وبين المعصية، ثم تصر وتفعل المعصية، ثم تشعر بضرر في دينك ودنياك، وتجلس مع نفسك. تذكر هذا العتاب "أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ"، أنا مش قلت لكم ابعدوا عنها، دلوقتي آلآن تبتعدان عن الشجرة، آلآن أبعد المعصية؟ أبعد أن ظهرت السوءات؟ "أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ"، مش قلت لكم أن ده غلط؟

الله –سبحانه وتعالى– يربينا بصور مختلفة

فالإنسان يتذكر هذه اللحظات قبل أن يقع في المعصية، أصعب شيء على من ذاق حلاوة القرب أن يذوق مرارة البعد، أصعب شيء على النفس التي ذاقت حلاوة القرب أن تذوق هذه الحالة، أن تذوق مرارة البعد، أصعب من فقدان أي شيء دنيوي، يعني في واحد ربنا بيربيه إنه يكره المعصية، كل واحد ربنا بيربيه إنه يكره المعصية بطريقة، هو الرب – سبحانه وتعالى–.

يعني زي إبنك كده أنت بتحاول تخوفه من حاجة، فتقول له دي هتلسعك، دي هتعورك، ربنا –سبحانه وتعالى– يربي عباده، فيه واحد كل ما بيعمل معصية بيسقط، في واحد كل ما بيعمل معصية بيحصل له مشكلة في عربيته، فيه واحد كل ما بيعمل معصية بيحصل له مشكلة في بيته، فيه واحد مش منتظر إن ده يحصل، لما بيحصله معصية بيفقد لذة المناجاة، بيفقد قيام الليل، بيفقد صلاة الفجر، فلما بيجي الشيطان يقول له اعمل المعصية على طول رد فعل طبيعي بيحصل جواه، التاني بيفتكر العربية المخبوطة، بيفتكر رئيسه في الشغل اللي بيزعق له، هو عنده ربط ما بين ده.

فيه واحد بيفتكر مرارة البعد، لا مش هقدر، لا أنا المره اللي فاتت لما حسيت بفجوة أنا تعبت، مش قادر أرجع للموقف ده تاني، لذلك النبي –صلَّى الله عليه وسلم– في أشد لحظات القرب في السجود يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي، أنت بيبقى نفسك تثبت على كده، حينما تذوق لذة الطاعة تتمنى أن تظل هكذا، تبقى خايف تروح منك، اللي بيذوق حلاوة القرب يتألم ويخشى مرارة البُعد، فتأتي هذه الآية لتذكرك، ابتعد عن المعصية حتى لا تذوق هذه المرارة، حتى لا تشعر بهذه الغُصة، مرارة البُعد مؤلمة على القلب المؤمن.

أحيانًا عدم نزول العقاب استدراج من الله

وكم من إنسانٍ يقول فعلت المعصية ولم أُعاقب وهو لا يشعر بالعقوبة، لا يشعر بها إلا القلب المؤمن، هذا القلب الذي لا يشعر بالعقوبة، هذا قلب فقد الإحساس، وفقد الإحساس لأعظم الأشياء؛ للقرب من الله، فقد الإحساس به، فلا يعلم أنه مُعاقب و–العياذ بالله– حاسس أن عربيته كويسه، وشغله كويس، وبيته كويس، وفلوسه كويسه، فمش حاسس أن فيه مشكلة وهذا من الاستدراج، تخيل معي لو سيدنا آدم لما ذاق من الشجرة محصلش حاجة، مفيش عقاب حصل

ولا بدت السوءة ولا حصل حاجة، وظاهريًا محصلش أي تغيير، بل بالعكس تخيل لو لما يأكل من الشجرة انتقل إلى مكان أفضل في الجنة، تخيل لو كان ده حصل.

يعني ممكن ده يكون من البلاء إنك تعمل المعصية فدنيتك تتحسن، فده من البلاء، وهذا ما حدث مع كتير من الدول والأمم في الوقت المعاصر، إن كان لما ثاروا على الدين في الغرب، ثاروا على الكنيسة، ثاروا على الدين عندهم، هو كان دين باطل أساسًا، لكن لما ثاروا على الدين حصل عندهم تقدم، فنشأت فكرة الإلحاد، يبقي إذًا الدين اللي كان مأخرنا، الأول نشأت فكرة العلمانية، إن احنا نحاصر الدين داخل دور العبادة، طالما الدين عامل لنا نوع من أنواع التخلف الدنيوي خلاص احنا نحاصر الدين ده في دور العبادة.

كلما ما تراجع الدين كلما تقدم الباطل

ودايمًا كل ما الدين بيتراجع كل ما الباطل بيتقدم، لما حاصروا الدين في الكنيسة، قال لك طب واحنا ليه نسيب الدين طب ما احنا نهد الكنيسة أصلًا، وظهر الإلحاد، ده ظهر ليه البداية دي؟ الفتنة حصلت إمتى؟ إن لما أزاحوا الدين حصل تقدم هنا بتحصل الفتنة، هتقول لي طب إزاي ده يحصل؟ لأن كان الدين باطل أصلًا، وهذا أيضًا ما حدث في أواخر خلافة الدولة العثمانية، إن هما في آخر الدولة العثمانية قد بدلوا وغيروا وضيعوا أجزاء من الدين، فلما حصل الثورة على الدين قام بها أتاتورك عليه من الله ما يستحق، في تركيا ونشر العلمانية وأزاح الخلافة، حصل نوع من التقدم الدنيوي. فحسوا أن الدين كان مقيضهم، لكن هو الدين مكنش مقيضهم، تقييد الدين هو ده معنى "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ"، هذا الشعور الذي يريد أن يبثه الشيطان في نفوس الناس، إن الدين نوع من التقييد، نوع من القيد، الشيطان يصور للإنسان أن الداعية هو عبارة عن أسد يريد أن يفترسك، "كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ"، المدثر ٥٠: ٥١، أسد أو صياد. الشيطان عايز يصور الداعية أنه عايز يصطاده ويحطه في الحبس، ويصور له الداعية منظر مرعب كده، الشيطان عايز يخوفك من دي، يصور لك أن الدين هو قيد وحبس.

فالفتنة تحدث حينما تأتي المعصية بدنيا، هنا فتنة استدراج، زي ما قلنا هيجيلنا اسأل الله أن يتم علينا هذه السورة، هيجيلنا في منتصف السورة أن فيه ناس حصل معاهم كده، لما البأساء مرجعتهمش، وده بيحصل معاك، أنك تعصي فيعاقبك الله، يرسل لك إنذار، عقوبة، تستمر في المعصية خلاص، الانتقال للمرحلة اللي بعد كده "فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ" الأنعام: ٤٤، خلاص خد الدنيا، وهو في المعصية، "فإذا رأيت الله –عز وجل– يعطي العبد وهو مقيمٌ على معاصيه فاعلم أن ذلك منه استدراج"[٦] كما روي عن النبي –صلَّى الله عليه وسلم–، إذًا من رحمة الله –عز وجل– هنا أن بمجرد ذوق المعصية ظهرت السوءة.

"وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ"، أنا قلت لكم حاجتين، قلتلك الشيطان عدو، وقلت لك متقربش من الشجرة، يعني أنت مش قربت من الشجرة من نفسك، أنت كما استمعت إلى

[٦] "إذا رأيتَ اللهَ تعالى يُعطي العبدَ من الدنيا ما يُحبُّ ، و هو مقيمٌ على معاصِيه ؛ فإنَّما ذلك منه استدراجٌ" صححه الألباني

الشيطان، أنا مش قلت لك أن الشيطان عدو، إتخذوه عدوًا، "إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ"، هنا في قضية لغوية سريعة، مسألة تلكما، تلك إسم إشارة للبعيد، لو عايز تشاور على حاجة مؤنث بعيد نستعمل تلك، أمال كُما دي إيه؟ دي كاف الخطاب، لو انت بتخاطب اتنين تلكما، إن شاء الله ممكن عشان بس اتأخرنا، لما يجيلنا الموضوع ده تاني هشرحه لكم بتفصيل أكتر في القرآن.

الفارق الكبير بين معصية آدم ومعصية الشيطان

" قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" الأعراف: ٢٣، فارق رهيب بين كلمة بما أغويتني، وبين ربنا ظلمنا أنفسنا، الشيطان إبليس لما وقع في المعصية قال أنت يارب أغويتني، لم يعترف بخطئه، هنا اعترف آدم – عليه السلام– بخطئه، لذلك مقولة عن شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، "أن الذي يسقط في المعصية ثم يتهم الرب فيه شُعبة من أخلاق إبليس، والذي يسقط في المعصية ويتهم نفسه ويتوب هنا يتخلَّق بأخلاق أبينا آدم في لحظات التوبة"

ماذا ستفعل بعد المعصية؟ هنا مباشرة إحنا اللي غلطانين "رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا"، طب هما عرفوا منين ظلمنا أنفسنا؟ ربنا قال لهم " فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ"، "وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ"، قالوا له يارب بالفعل صدقنا الله وكذبنا عدو الله، "ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا"، الحل هذا الشعور؛ شعور أنه ليس لك مخرج إلا منه، هذا الشعور حينما يستقر في قلبك يتوب الله عليك، "وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ"، ليس لنا مخرج إلا منك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، "وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ" التوبة: ١١٨، حينما تضيق عليك الأمور، وتضيق عليك الأرض، وتضيق عليك نفسك، تشعر أنه لا مخرج إلا من الله، هذا الشعور يجعلك تُقبل على التوبة ويستنزل التوبة.

تقول يارب أنا مليش غيرك، ودي أخطر مرحلة في الذنب، مرحلة الضعف النفسي اللي تحصل بعد الذنب، أنت بعد الذنب بتكون في حالة من الضعف، إما أن تلجأ إليه، وإما أن تيأس وتقنط، الشيطان بيجيلك قبل المعصية يزين لك المعصية، ويجيلك أثناء المعصية يخليك متفكرش خالص في أي حاجة تنسى كل حاجة، تنسى التوبة واطلاع الله، وقدرة الله، بعد المعصية مش الشيطان يسكت لأ يجيلك، يقول لك إيه اللي أنت هببته ده، يا عم ما أنت اللي قايل لي، وتسمع كلامي؟ طب أنا الشيطان تسمع كلامي؟ ويقعد يأنبك، حاجة عجيبة جدًا، الشيطان يقعد هو اللي يأنبك، إيه اللي أنت عملته ده، طب أعمل إيه؟ تعمل إيه خلاص راحت، الموضوع انتهى، أنت فاشل، مفيش توبة الموضوع انتهى قوم شوف معصية تانية خلاص، هي باظت أصلًا، يعني مفيش؟ لا مفيش انسى، طب أنا أعرف واحد، مفيش ده وقع تاني أنت متعرفش؟

هو الشيطان عايزك استغلال لحظة، أخطر مرحلة لحظة الضعف اللي بعد المعصية دي، إياك أن تيأس، وإياك أن تستسلم، اللحظات دي عايزة إقبال على الله مباشرة، "وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ" آل عمران: ١٣٥، مباشرة، "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا" الأعراف: ٢٠١، تذكروا على طول، طول الفترة بين

المعصية وبين التوبة يقسّي القلب، "فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ" الحديد: ١٦، طول الفترة ما بين الوقوع في المعصية وما بين التوبة بيخلي الرجوع أصعب، بيخلي القلب ييبس، فيه نوع من اليُبس بيحدث، والطبقات بتزداد على القلب.

ده أحد معاني "وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ" البقرة: ١٩٥، إياك إنك تقول مفيش أمل، الشيطان يجيلك في اللحظة دي أنت مباشرة يجب أن تلجأ إلى الله، "وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ" الأعراف ٢٣: ٢٥، كان نفسي نكمل لغاية آية ٢٥، لكن كده هنطول، فإن شاء الله هنكمل الآيتين دول المرة القادمة، أسأل الله –عز وجل– أن يصرف عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك، اللهم ارزقنا العمل بالقرآن وتلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36